مجلة دراسات تاريخية

KADHAYAT ARIKHIA

ISNN :718X EISSN : 2802-6031

https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/228

عقيدة التأويل في الفكر الإسماعيلي

The Doctrine of Interpretation in Ismaili Thought

أ . د / سامي جودة الزيدي

جامعة ذي قار / مركز ذي قار للدراسات التاريخية

Salbeed2@gmail.com

المجلد: 09 العدد: 01 السنة 2024 الصفحات: 44- 74

تاريخ الاستلام 2024 /02/09 تاريخ القبول: 2024/06/21 تاريخ النشر: 17/ 2024/07

الملخص: تناول البحث المعنون (عقيدة التأويل في الفكر الاسماعيلي) بوصفه الاساس الذي استند عليه الفكر الاسماعيلي في التنظير لباقي العقائد ، فقد تناول البحث تمهيد عن البدايات الاولى لتاريخ الاسماعيلية ، وتناول التأويل لغة واصطلاحا، ثم ماهية التأويل الاسماعيلي ، ومعنى الظاهر والباطن ، كما بين البحث نظرية المثل والممثول ، ثم الامام في التأويل الاسماعيلي، وخلص البحث الى ان التأويل عقيدة اسماعيلية اساسية اعتمدوها في بيان باطن الشريعة ، وهي في الاساس آلية في دعم عقيدة الامامة التي ارتكز عليها المذهب الاسماعيلي .

الكلمات المفتاحية : : عقيدة ، التأويل ، فكر ، الاسماعيلية ، الامامة

Summary : The research entitled (The Doctrine of Interpretation in Ismaili Thought) dealt with it as the basis upon which Ismaili thought was based in theorizing the rest of the beliefs. The research dealt with an introduction to the first beginnings of the history of Ismailism, and dealt with interpretation linguistically and terminologically, then the nature of Ismaili interpretation, and the meaning of the apparent and the hidden. The research also explained the theory The proverb and the like, then the imam in Ismaili interpretation. The research concluded that interpretation is a basic Ismaili doctrine that they adopted in explaining the essence of the Sharia, and it is essentially a mechanism in supporting the doctrine of the Imamate on which the Ismaili doctrine is based.

Key words : (The Doctrine of Interpretation- Thought- Ismailism- the imam in Ismaili interpretation

الاسماعيليون : هم من الفرق الشيعية ، وتعد الفرقة الثانية بعد الاثنا عشرية ، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ نشأتها ، كما اختلفوا في الكيفية التي نشأة فيها ، ولعل ذلك يعود الى التنظيم السري الذي اتبعه الاسماعيلية في دعوتهم . والاسماعيليون سموا بهذا الاسم نسبة الى اسماعيل بن الامام جعفر الصادق ، وقيل ان الامام الصادق قد عين اسماعيل للإمامة بعده الا انه مات في حياة ابيه . وبعد وفاة الصادق انقسم الشيعة الى فرق فمنهم الاثنا عشرية الذين اعتقدوا بإمامة موسى بن جعفر ، ومنهم من اعتقد بأن اسماعيل حي لم يمت انما هو متخفي الى حين الظهور ، فهو الامام المهدي ، وكان هؤلاء قد عرفوا بـ (الاسماعيلية الخالصة) وهناك من الاسماعيلية من اعتقد بموت اسماعيل في حياة ابيه ، وقد ورث عنه الامامة ولده محمد بن اسماعيل (بحسب النظرية الشيعية القائلة بتوارث الامامة الى الابناء عن الاباء) وقد سمي هؤلاء (الاسماعيلية المباركية) نسبة الى المبارك ([1]) . ومن الفرقة المباركية خرج القرامطة ، والذين كانوا يوافقون الاسماعيلية الخالصة في العقائد ، وسموا بذلك نسبة الى رجل من اهل السواد يعرف بـ (قرمطويه)([2]) . وقد ظلت الدعوة الاسماعيلية ، التي يصعب تحديد زمنا معينا لظهورها ، تشهد ضبابية في الاعتقاد والنشأة ، طبقا لما عملت عليه من سرية وتكتم عالي ، سيما في بيان صفة الامام او نشر العقيدة التي تؤمن بها ، فصار من الصعب ادراك زمان النشأة وفهم حقيقي لعقائدها ومراحل امامتها . كما كان للتنظيم السري ، الذي مارسه الاسماعيلية الاوائل في الدعوة الى الاعتقاد بها ، دورا في عدم فهم ماهية هذه الدعوة ، لذا استطاع اعداء الاسماعيلية من تلفيق التهم لهم والكيد بنسبهم وعقائدهم واتهامهم بالزندقة والكفر والمروق ، حتى تم في القرن الماضي عن الكشف عن العديد من المخطوطات والكتب ، والتي كشفت الكثير من الحقائق الغامضة عن هذا التنظيم ، وما لهذه الحركة من اهمية في الحضارة الاسلامية، وما رفدت به من معارفها وعلومها في شتى ميادين المعرفة، وساهمت مساهمة فاعلة في تطور الفكر الاسلامي. كما استطاع الاسماعيليون من تأسيس دولتين كان لهما من الشأن العظيم الذي لا يقل شأنا عن مثيلاتها من دول الاسلام الكبرى . ففي مصر كانت الدولة الفاطمية الاولى، بعد ان كانت بدايتها في الشمال الافريقي عندما اعلنت الخلافة الفاطمية هناك ، كما استطاع الفاطميون فيما بعد ان يحققوا حلمهم في الوصول الى مصر وتأسيس دولتهم هناك ، كمنافس حقيقي

لخصمهم الدولة العباسية في بغداد ، واستطاعوا ان يتمددوا بمرور الايام الى بلاد الشام واليمن والحجاز ، واستطاعوا ان يصلوا العراق فيما بعد ، وان يخطب للخليفة الفاطمي فيها .

ثم كانت الدولة الاخرى للفاطميين والتي شغلت مساحة واسعة امتدت من بلاد فارس حتى دمشق بعد ان بنت لها قلاعا وحصون في مناطق الجبال الفارسية والتي عرفت بالدولة النزارية ، كنتيجة للانفصال الذي حصل في جسم الدولة الفاطمية لتنقسم الى (مستعلية) في مصر و (نزارية) في بلاد فارس . هذه المقدمة الموجزة لتاريخ الاسماعيلية تسمح لنا ان نؤسس عليها موضوع بحثنا حول التأويل في الفكر الاسماعيلي والذي كانت من اهم عقائدهم التي بنو عليها عقائدهم الاخرى ، فالتأويل بوصفه عقيدة شكل العمود الفقري للعقائد الاسماعيلية ، اذ ارتبط ارتباطا وثيقا بالإمامة التي شكلت مركزية الفكر عندهم ، اذ يعتقدون ان الامام هو الاساس في بيان تأويل الشريعة ، وهو الوحيد القادر على ذلك ، ويعد وجود الامام نعمة لا تحصى ، اذ بدونه يبقى الدين ناقصا ، وتظل الشريعة الظاهرة دون معرفة الباطن منها .

التأويل لغة واصطلاحا :

لغة : أول : الأول : الرجوع . وآل الشيء يؤول اولا ومآلا : رجع وأول إليه الشيء : ارجعه . وأول الكلام وتأوله : دبره وقدره ، وأوله وتأوله : فسره ، وقوله تعالى : (ولما يأتيهم تأويله) اي لم يكن معهم علم تأويله وهذا دليل على ان علم التأويل ينبغي ان ينظر فيه ، وقيل : معناه لم يأتيهم ما يؤول إليه أمرهم في التكذيب به من العقوبة ([3]) .

ويقال ألت الشيء أوله اذا جمعته وأصلحته ، فكان التأويل جمع معاني ألفاظ أشكلت بلفظ واضح لا أشكال فيه ، وقال بعض العرب ، أول الله عليك أمرك اي جمعه ، واذا دعوا على شخص قالوا : لا أول الله عليك شملك . ويقال في الدعاء للمضل : أول الله عليك : اي رد عليك ضالتك وجمعها لك ([4]) .

فالتأول والتأويل تفسير الكلام الذي تختلف معانيه ولا يصح الا بيان غير لفظه . وفي قول الشاعر :

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله ([5]) .

ويرى ابن الاثير ان المراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الاصلي الى ما يحتاج الى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ ، وفي حديث عائشة : (كان النبي (ص) يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك ، يتأول القرآن) تعني انه مأخوذ من قوله تعالى : (فسبح بحمد ربك وأستغفره) ([6]) . فالتأويل عند الجوهري ، تفسير مايؤول إليه الشيء ([7]) .

ووفقا لما مر يمكن القول ان التأويل يختص بالمعاني دون الالفاظ ، فهو يكشف عن المعاني كامنة في اصل اللفظ ليست بالضرورة ان تكون من جنس اللفظ ، اي ان التأويل فعلا مجازيا ينتقل بالمعنى من حقل اللفظ الى حقل معرفي آخر .

التأويل اصطلاحا :

لبيان المعنى الاصطلاحي للتأويل يتطلب منا الوقوف على الفرق بين التفسير والتأويل ، ليتضح لنا المعنى الدلالي لمصطلح التأويل ، حيث ذهب البعض الى القول ان التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال ، والحقيقة اختلافهما . ولعل الاختلاف متأتي من دلالة كل منهما ، فقد قيل في معنى التفسير ، كشف المراد عن اللفظ المشكل ، وارجاع احد الاحتمالين الى ما يطابق الظاهر ، وقال الراغب : التفسير اعم من التأويل ، ويستعمل التفسير في الالفاظ ، اما التأويل فيكون استعماله في المعاني ، كتأويل الرؤيا ، ولعل استعمالات التأويل تكون في الكتب الالهية ، اما التفسير فمن الممكن ان يكون في غيرها، والتفسير نجده يستعمل في معاني مفردات الالفاظ ([8]) .

ويميز السيوطي بين التفسير والتأويل بقوله : ان التفسير بيان وضع اللفظ ، اما حقيقة او مجازا ، ويعطي على ذلك امثلة ، فيفسر الصراط بالطريق ، ويفسر الصيب بالمطر ، اما التأويل فيقول عنه انه تفسير باطن اللفظ ، فيكون التأويل الكشف عن حقيق المراد ، اما التفسير فهو دليل المراد ، لان اللفظ

يبن حقيقة المراد ، والكاشف دليل مثله قوله تعالى : (ان ربك بالمرصاد) ومعنى رصدته رقبته ، فيكون تأويل ذلك ، التحذير من عدم التهاون وعدم الغفلة ويجب ان يكون الانسان مستعدا لأمر الله حين يعرض عليه ([9]) . فيكون التأويل وفقا لتلك الآراء هو كشف ما انغلق من المعنى ، ولذلك قيل ان التفسير يتعلق بالرواية ، والتأويل يتعلق بالدراية ([10]) .

طبقا لهذا الاختلاف بين التنزيل والتأويل في المعنى والدلالة ، فقد نشأ اختلاف في مساحة اشتغال التأويل والتنزيل ، فقد حاول فريق من المسلمين (ممن التزموا بالمعنى الظاهر للفظ) تضييق المسافة بين التفسير والتأويل وحصره في بيان معاني الالفاظ ، اذا جعلوا التفسير يتناول الالفاظ ، والتأويل يتناول المعنى العام للعبارة ، بحيث يرتبط التنزيل بالمعنى اللغوي الحقيقي ، ويرتبط التأويل بالمعنى المجازي ، بشرط وجود قرينة او دليل ، طبقا لذلك فالتأويل غير مسموح به دون تلك القرينة لفظية كانت او معنوية تمنع الاخذ بالظاهر ، وهذا يعني تحديد التأويل في المجال التداولي للفظ العربي ، كما هو في الجاهلية والاسلام ، مما لا يسمح بخرق حدود العقل المعرفي البياني الاصلي ([11]) .

في الطرف الاخر من ذلك ، يقف العرفانيون (الباطنيون) ليفتحوا حدود التأويل ويمنحوه مساحة لا تتقيد بشرط القرينة او الدليل ، فهو يخرق الحدود ، لينتقل بالمعنى من حقل اللفظ الى حقل معرفي آخر ، ويعدون ذلك المعنى هو (الحقيقة) التي يشير اليها ظاهر النص ([12]) .

لقد سهل وجود المفاهيم البيانية في النص الديني بصورة مفتوحه بدون تحديد لمعانيها ، الاتجاهات الباطنية والعرفانية ، الى توظيفها تأويليا الى انتاج خطابا عرفانيا باطنيا ، حتى ان وجودها بهذا الشكل يغري ذي الميول الباطنية ان يقرأها بما يخدم اغراضه ويصرفها في المعنى الذي يشاء ([13]) .

ان البحث في التأويل يضعنا اما ثلاث مفاهيم تؤطر النص وتؤوله ، فهي على مستوى البنية : الظاهر والباطن ، وعلى مستوى الفهم : التنزيل والتأويل ، وعلى مستوى المعرفة : الشريعة والحقيقة ، عندما تعتدل العلاقة بين التنزيل والتأويل وبين الظاهر والباطن ، وبين الشريعة والحقيقة ، فنحن نكون امام الفكر السني والعقيدة الزيدية ، الى حد كبير ، اما اذا طغى الباطن على الظاهر ، دون ان يلغيه ، فنحن

ازاء الفكر الامامي الاثنا عشري والى حد ما الاسماعيلي ، اما اذا طغى البطن على الظاهر ، والتأويل على التنزيل ، والحقيقة على الشرية ، فنحن امام اسماعيلية ألموت المتطور (الصباحية) ([14]) .

كان الشيعة عموما خلاف ما كان السنة عليه ، اذ انهم اول من تطرقوا الى قضية التأويل ، مستندين الى التفكير العقلي ، بينما وقف السنة عند حدود الرواية وظاهر النص ، حتى انهم قيدوا التفكير بقيود ضابطة القرينة ، بينما كان العقل الشيعي يقوم على الاستدلال ، متأثرا بالطرح المعتزلي الذي عد العقل معيارا في الحكم على النص . ومع تعدد الفرق الشيعية واختلافها ، لا يمكن عدها واحدة في قضية التأويل ، اذ من المنصف القول ان الامامية الاثنا عشرية لم يذهبوا بعيدا في مد مساحة التأويل كما فعل الاسماعيلية ، اذ لم يركنوا الى ضابطة في تحديد تلك المساحة التأويلية ، فالمجاز عندهم لا يرتبط بقرينة ما ، انما نجد الخيال يصنع له مساحة غير محددة في وضع معنى الباطن للنص . ووفقا لذلك شكل التأويل الاسماعيلي خلافا واضحا مع الفرق الاسلامية ، التي اعتمدت الرواية عند اهل الحديث ، والعقل عند المعتزلة .

وفقا لذلك نشأ تيار ذات اتجاه باطني وعرفاني يعتمد التأويل في بيان المعنى الباطني للفظ ، فقد قرروا ان لكل ظاهر باطن ، وان باطن كل شيء هو حقيقة ذلك الشيء .

التأويل عند الاسماعيلية :

يختلف التأويل بمعناه الواقعي عن التفسير عند الاسماعيلية ، فالتفسير عندهم يتحدد بجلاء المعنى لكل كلمة غامضة لا يعرف معناها المتلقي ، فكلمة شجرة مثلا ، عند تفسيرها ، فان المفسر يتحدث عن الشجرة ابتداء من كونها بذرة حتى نمت وتفرعت واخضرت واثمرت . اما تأويل كلمة شجرة ، فالإسماعيلية يذهبون الى المعنى الباطني ، والمسؤول عن التأويل قد يقول هي حجر او بقرة او صخرة او غير ذلك ، فهو يؤول بحسب ما يراه متطابقا مع الحقيقة التي يراها ، فلا يكون التأويل غريبا عن التصديق ، ولا بعيد عن العقل ([15]) .

فالتأويل طبقا لذلك ، هو المعنى الباطني للكلمة ، غير ظاهر انما يستتر وراء اللفظ ، ومن له صلاحية التأويل يمكن ان يظهر ذلك المعنى ، وان لم يكن المعنى متطابقا للفظ فليس بالضرورة ان يكون ذلك شرطا للتأويل عندهم . فالمعنى الظاهر هو الذي يمثل الشريعة والاحكام ، والمعنى الباطن هو الذي يمثل الحقيقة ، لذا التزم الاسماعيليون بالأخذ بالمعنى الباطن دون ترك الظاهر.

فالعقيدة الاسماعيلية تفرض على اتباعها الاخذ بمبدأي الظاهر والباطن معا ، اعتبارا من انهما يمثلان روح الدين ، وهما متصلان ومرتبطان بعضهما بالآخر ، وعدهما واجبان على كل مؤمن اسماعيلي . فالظاهر هو جملة الاحكام والتوصيات والقواعد التشريعية للدين ، اما الباطن فهو جوهر الدين المستور عن الانظار ، والمخصص للألباب ، لهذا ذهب الاسماعيليون الى تكفير من اعتقد بالباطن دون الظاهر ، او بالظاهر دون الباطن . فقد قال داعي الدعاة المؤيد في الدين : (من عمل بالباطن والظاهر معا فهو منا ، ومن عمل باحدهما دون الاخر فالكلب خير منه وليس منا) ([16]) .

ويذهب القاضي النعمان الى القول ، ان الباطن لا يقال له باطن ما لم يكن له ظاهر ، وكذلك الظاهر لا يقال له ظاهر ما لم يكن له باطن ، فان قال غير ذلك فهو محال ، ومن جهل مثل هذا فهو في عدد من لا يعقل ([17]) .

يتبين واضحا ان الاسماعيلية تعتقد بالظاهر والباطن معا ، ولا يمكن انكار احدهما ، او العمل بالشريعة دون الحقيقة ، فالشريعة هي الظاهر ، والحقيقة هي الباطن ، وما يحل في الشريعة يحل في الحقيقة ، وما يحرم في الشريعة كذلك يحرم في الحقيقة ، وهذا الامر نجده واضحا عند القاضي النعمان في قوله : (وإنما حرم الظاهر بالباطن، والباطن بالظاهر معا جميعا، والأصل والفرع، فباطن الحرام حرام كظاهره، ولا يسع تحليل أحدهما، ولا يجوز ولا يحل إباحة شيء منه، وكذلك الطاعات مفروض على العباد إقامتها، ظاهرها وباطنها، لا يجزى إقامة ظاهر منها دون باطن ولا باطن دون ظاهر، ولا تجوز صلاة الظاهر مع ترك صلاة الباطن، ولا صلاة الباطن مع ترك صلاة الظاهر. وكذلك الزكاة، والصوم والحج والعمرة ، وجميع فرائض الله افترضها على عباده، وحرماته وشعائره) ([18]) . ولهذا يرى البعض ان من الخطأ القول

ان الاسماعيلية فرقة باطنية ، كونهم يعتقدون بالباطن والظاهر معا ، وقد كفروا من قال بإحداهما ([19]) .

وفقا لذلك فأن الاسماعيلية لا تقبل ان يتنازل اتباعها عن احد الامرين (الظاهر ، الباطن) فكلاهما اصل الشريعة ومقتضاها ، ولكن هذا يتطلب معرفة بأمور الباطن ، كون التأويل ليس من صلاحية احد غير الإمام ، فالإمام وحده من يستطيع ان يدرك المعاني الباطنية التي هي الحقيقة التي استترت خلف اللفظ ، ليكشف عنها الامام وفق صلاحيات انيطت به إلهية وليست بشرية ، فالنبي في العقيدة الاسماعيلية مسؤول عن تفسير الظاهر ، فهو المسؤول ان ايصال الرسالة الشرعية الى الناس وتوضيح الغامض من الفاظها ، وانيطت مسؤولية التأويل الى الإمام ، فالقرآن انما انزل على محمد بألفاظه الظاهرة ، اما الاسرار الكامنة خلف تلك الالفاظ من رموز واشارات فهي اختصاص الامام وحده دون غيره . وقد جعل الاسماعيلية علي بن ابي طالب اول الائمة في معرفة تلك الاسرار ثم اورثها الائمة من بنيه ، فهي باقية فيهم الى يوم الدين ([20]) .

ومع ما نجده من تشدد لدى الاسماعيلية في الاعتقاد في الظاهر والباطن معا الا ان نصا مؤسسا يكاد يجعلنا في استغراب شديد ، وهو يحاول ان يؤسس لترك الظاهر والعمل بالباطن عندما يرتقي المؤمن (الاسماعيلي) في سلم درجات المعرفة فيصل الى درجة الحجاب ، عندها يصبح حرا وغير مقيد بالعبادات والاتيان بها كونها اغلالا واصفادا وضعت لغير العارفين بتلك الدرجات ، هذا النص يُنقل عن المفضل بن عمر الجعفي (ت 180هـ) ، انه سأل الامام الصادق عن معنى الاصطفاء ؟ قال : الاصطفاء فوق درجة النبيين ، وهي الرسالة ، لقول الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) ([21]) فنحن الذرية ، قلت يا مولاي ، فاذا بلغ احدهم هذه الدرجة هل يرتقي الى غيرها ، قال : نعم يرتقي الى الحجاب ، وهي اول درجة ذكرناها ثم تلا قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ) ([22]) وقوله تعالى : (وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ) ([23]) قلت يا مولاي ، هل علينا نحن معرفة هذه الدرجات ؟

قال : نعم ، من عرف هذا الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر، ومادام لا يعرف هذه الدرجات ، ولا يبلغها بمعرفته ، فاذا بلغها وعرفها منزلة منزلة ، ودرجة درجة ، فهو حينئذ حر سقطت عنه العبودية ، وخرج من حد المملوكية الى حد الحرية باشتهائه ، ومعرفته ، قلت يا مولاي : فهل ذلك في كتاب الله ؟ قال : نعم ، اما سمعت قوله تعالى : (وان الى ربك المنتهى) فاذا عرف الرجل ربه فقد انتهى المطلوب ، ولا شيء ابلغ الى الله من الوحدانية والمعرفة ، وانما وضعت الاصفاد والاغلال على المقصرين ، واما من بلغ وعرف الدرجات التي قرأتها لك فقد اعتقه من الرق ورفعت عنه الاغلال والاصفاد واقامة الظاهر ([24]) .

وعلى الرغم من ان كتاب الهفت تعرض الى انتقاد من قبل الدكتور رسول كاظم عبد السادة في بحثه الموسوم (الهفت الشريف كتاب منحول على الامام الصادق ع) ([25]) الا ان الكتاب صدر بتحقيق شخصيتين اسماعيليتين هما تامر عارف ، ومصطفى غالب بشكل منفرد ، وكل منهما وجد مخطوطة حققها بمفرده ، ومهما دافع عبد السادة عن ان الكتاب لم يكن من املاء الامام الصادق ، وان العقائد التي دونت فيه اغلبها منتحل ، ويعود الى اقلام وضعتها لتشكيل عقائد واراء ومذاهب ، وقد اتخذت من كبار ائمة المسلمين سندا لها . ونكاد نقرر ان اغلب المذاهب الاسلامية بنيت بهذه الصورة المنحولة .

ان نظرية التأويل الباطن نظرية دينية وفلسفية في آن واحد ، ترى ان الله جعل كل المعاني في المخلوقات التي تحيط بالإنسان ، وعلى الانسان ان يستدل على تلك المعاني من خلال ما في الطبيعة ، وكل ما على وجه الارض يحمل تلك المعاني ، لذا فحقيقة الدين تكمن فيها وحتى يصل اليها الانسان لابد ان يعرف تلك المعاني . لذا قسمت المخلوقات الى قسمين ، قسما ظاهرا بائنا الى العيان ، وقسما باطنا ، فما هو ظاهر يدل على ما هو باطن ، فجسم الانسان ظاهر ، ونفسه باطنه ... وهكذا . فالعبادة العملية وهي ما ظهر من امور الدين في ظاهر الآيات ، هي من المعاني الظاهرة التي يعرفها العامة من الناس ويرددها جميع المسلمون . الا ان الاسماعيلية لهم رأيا اخر ، اذا يرون ان لكل فريضة من فروض

الدين لها تأويلا باطنيا ، لا يعرفه الا الائمة وكبار دعاتهم ، ويذهبون الى ان هذا التأويل من عند الله وقد خص الله به علي بن ابي طالب والائمة من ولده.

ولكن هذه العقيدة ربما تتغير مع تغير الاحوال واختلاف الازمان ، اذ يذهبون في بعض عقائدهم الى ان التأويل من اختصاص حجة الامام او داعي دعاته ، فنجد التأويل يختلف عندهم باختلاف شخصية الداعي ، وموطنه الذي يسكنه ، وزمن وجوده . فأن قراءة تأويلات الداعي منصور اليمن قبل ظهور الدولة الفاطمية بالمغرب نجدها تميل الى الغلو ، وهي تشبه تأويلات الغلاة من الخطابية والسلمانية وغيرها . اما تأويلات دعاة بلاد فارس بعد قيام الدولة الفاطمية فهي تختلف عن تأويلات دعاة المغرب ، الذين كانوا بالقرب من الائمة الفاطميين فيها . فقد كانت تأويلات دعاة فارس فيها من التأليه الصريح للائمة الاسماعيلية ، كما انهم طرحوا الفرائض ، ومن تأويلاتهم ، الصلاة عندهم الاتجاه القلبي للإمام ، والصوم عدم افشاء اسرار الدعوة ، والحج زيارة الامام ، حتى طرحوا كل اركان الدين ، خلاف ما كان عليه دعاة المغرب([26]) .

ويرى الاسماعيلية ان التأويل هو الرمز والاشارة ، وهو الطف حدوده واقربها ، ويرون ان تعليم التأويل لابد ان يمر بمراحل لا ان يأتي دفعة واحدة ، فيصور القاضي النعمان ذلك بمراحل التربية التي يمر بها حديثي الولادة ، فلابد اول الامر من ان يتناول اللبن قبل الطعام الغليظ لضعف ابدانهم في تحمل ذلك ، فالمستجيب للدعوة لابد له من فهم الظاهر قبل الباطن ، ومن ثم يلقن الباطن بالتدريج فيعطى الرموز والاشارات حتى تثير لديه الحواس ، ويتشوق لسماعها وما تعني ، ويكون لديهم الاستعداد والتأهب لقبولها ، ولو جاءتهم دفعة واحدة قد تضرهم ، كما يضر الطعام الاطفال عند الهجوم عليهم به ([27]) .

ويفرق الاسماعيلية بين الاسلام والايمان ، ويعدون الايمان بالظاهر هو الاسلام ، اما الايمان فهو التدرج في معرفة الباطن والتأويل ، ولا يصبح الانسان مؤمنا ما لم يطلع على التأويل الباطن للمعاني . ويشترطون عدم مفاتحه المستجيب لدعوتهم بالباطن قبل ان يقيم الظاهر قال القاضي النعمان : (انه لا يكون مؤمنا حتى يكون قبل ذلك مسلما ، ثم ينتقل بعد الاسلام بالمعرفة الى حد الايمان ، وكذلك

لا ينبغي ان يفاتح المستجيب بالباطن حتى يفاتح قبل ذلك بالظاهر ، الذي يؤثر عن الائمة ، فيعرف ما يلزمه من إقامة ظاهر الدين وذلك مثله مثل الاسلام ، ثم يفاتح بعد ذلك بعلم الباطن الذي مثله مثل الايمان) ([28]) .

والباطن في العقيدة الاسماعيلية هو الحقيقة التي هي معرفة الامام ، فالإمام هو وحده من يمتلك علم الباطن ، وهي الحقيقة ، فالإيمان بولاية الائمة من اهل البيت تعني الايمان بالحقيقة . وقد استند القاضي النعمان في اثبات ذلك على تأويل النص القرآني في قوله تعالى : (قل كفى شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب)([29]) فقد قال القاضي : ان تأويل ذلك وصيه علي بن ابي طالب اودعه الكتاب والائمة من بعده ، وان العرب تسمي الكتاب امام (وكل شيء احصيناه في امام مبين) قالوا يعني في كتاب ([30]) .

لقد استند الاسماعيلية في الاعتقاد بالتأويل على جملة من النصوص القرآنية والتي اتخذوها دليلا على وجوب التأويل منها :

((وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ)) ([31]) .

((وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ))([32]) .

((سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا))([33]) .

((هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ))([34]) .

وللإسماعيلية أدلة عقلية أخذت من القرآن الكريم اعتمدوها كدليل على صحت عقيدتهم في التأويل ومنها :

((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ))([35]) .

((وَفِى ٱلأَرضِ ءَايَٰت لِّلمُوقِنِينَ ، وَفِىٓ أَنفُسِكُم أَفَلَا تُبصِرُونَ)) ([36]) .

من خلال تلك النصوص يتبين لنا واضحا ان اعتقادهم كان مبنيا على النصوص التي بذاتها أولت لصالح العقيدة الاسماعيلية ، كما يتبين ان الظاهر انما دل على الباطن الذي هو الاساس الذي تبنى عليه عقيدة التأويل ، لكون الظاهر لا يحتاج الى عناء في الوصول الى حقيقته ، والتي بينها الانبياء وعمل بها عامة الناس ، اما الباطن الذي هو الحقيقة الغاطسة والتي تحتاج الى بيانها من هم بمرتبة الاصطفاء الالهي ، فقد وكل الله مهمة ذلك البيان الى اولئك الاوصياء الذين اجتباهم ربهم وعلمهم من تأويل الاحاديث ما لم يعلمه غيرهم من البشر ، فهم وحدهم من يمتلكون القدرة على ايضاح بواطن الامور واظهار حقائقها . ان الظاهر عند الاسماعيلية عدوه مثلا ، والباطن عد ممثولا .

المثل والممثول :

في هذه العقيدة يرى الاسماعيلية ان هناك عالمين ، الاول هو عالم الممثول وهو العالم الباطن الذي هو العالم الكوني (الروحاني) ، وهناك عالم جسماني هو مثل لذلك الممثول . ويرون ان العقل الاول هو (السابق) وتكون خصائصه للإمام (التالي) اي ان العقل الاول هو الممثول ، وان الامام هو مثله . فالظاهر هو مثلا للباطن الذي هو الممثول . واستندوا في ذلك الى جملة من النصوص القرآنية التي أولها لصلح هذه العقيدة ، ونجد هذا واضحا في قول داعي دعاتهم المؤيد في الدين ، اذ قال : (خلق الله امثلا وممثولات ، فجسم الانسان مثل ونفسه ممثول ، والدنيا مثل الاخرة ممثول ، وان هذه الاعلام التي خلقها الله تعالى ، وجعل قوام الحياة بها ، من الشمس والقمر والنجوم ، لها ذرات قائمة يحل منها محل المثل ، وان قواها الباطنية التي تؤثر في المصنوعات هي ممثول تلك الامثال)([37]) .

ان نظرية المثل والممثول ترى ان في العالم الارضي حدود جسمانية تماثل الحدود العلوية ، وتتصف بصفتها وتسمى بأسمائها ، كما ان الاسماعيلية يرون ان الله منزه عن الاسماء والصفات وقد اقام العالمين

العلوي والسفلي بعشرة حدود كاملة ، خمسة منها روحانية وخمسة جسمانية ، اما الجسمانية (الارضية) منها هم : النبي ، والوحي ، والامام ، والحجة ، والداعي ، يقابلها في العالم العلوي : السابق ، والتالي ، والجد ، والفتح ، والخيال . وان العالم العلوي يمد العالم السفلي ، وعالم العرش يمد عالم الكرسي ، وعالم الكرسي يمد فلك زحل ، وفلك زحل يمد فلك الشمس ... الخ ([38]) .

اعتقد الاسماعيلية ان اول الموجودات العقل الفعال ، وقد اعتمدوا في ذلك على نظرية المثل والممثول ، فقالوا ان لكل حد من الحدود العلوية ممثول في العوالم الثلاثة ، الجرمي ، والديني ، والجسماني ، واطلقوا على الحدود العلوية اسماء مختلفة ذات مدلول واحد ، وقد اطلقوا على العقل الفعال ، والذي عدوه اول الموجودات ، تسعة وتسعين اسما ، هي الاسماء الحسنة ، لان المبدع (الله) لا اسم له ، كما لا نعت ولا تصوير له ، فالمبدع فوق التصورات والاسماء والنعوت التي انما هي من ابداعاته . فهو يمد ولا يستمد . ثم انهم جعلوا لهذا العقل الفعال المبتدع ممثول له في العالم الدين هو الرسول الناطق ، ولكون الرسول هو الموجود وهو الناطق في عهده لذلك حمل اسماء العقل الفعال ، اما الامام فهو ممثول النفس الكلية ، والذي يمثل التالي للرسول الناطق (الاساس) فقد حمل اسماء الموجد الثاني ، وبما ان الامام هو الوريث النبي ، فانه بعد وفاة الناطق (الرسول) يتسلم المرتبتين (العقل الفعال ، والنفس الكلية) وتكون الاسماء التسعة والتسعين جميعها تطلق عليه ([39]) .

يتضح ان العقيدة الاسماعيلية تقوم بالأساس على اثبات الامامة للإمام ، وعده الاهم في العقيدة المركزية الإسماعيلية ، اذ اعطته مهمة بيان الحقيقة الباطنية للدين ، وجمعت له اسماء وصفات العقل الفعال والنفس الكلية اللذان عدتهم اول الموجودات في الخلق ، بل انها ربطت صحت الدين بطاعة الامام ومعرفة مقامه ، اذ ان الشريعة تبقى ظاهرية دون معرفة الامام الذي يمتلك القدرة على بيان باطنها ، الذي هو الغاية التي يراد للإنسان الوصول اليها، ولا يتم ذلك دون معرفة الامام والتصديق بمقامه ومكانته في الدين . حتى ان فكرة الظاهر والباطن انما هي لتعزيز عقيدة الامامة عندهم ، فالباطن الاهم

في عقيدة الاسماعيلية والذي يقابل الايمان ، يتوقف على الاعتقاد بالإمامة التي بدونها لا يمكن الوصول الى حقيقة الدين .

ان تأويلات الباطن الاسماعيلية لا تناسب الظاهر ، من حيث الحقيقة والمجاز ، فقد تتعدد التأويلات لقضية واحدة ، فالعبارة او النص يقبل عدة تأويلات في آن واحد ، مستندين في تعدد التأويلات للعبارة الواحدة على قول ورد في المبتدأ والمنتهى قال : (روي عن مولانا (ع) انا نقول الكلمة لها سبعة وجوه ، فقال قائل سبعة وجوه ، فقال : سبعون ، فقال القائل : سبعون ، فقال : سبعمائة ، فكل ما ارتج على قارئه وخفيت معرفته ودقت عليه اشارته وكنا بقربه فليسألنا عنه ، او من يعلم انه اعلم منه من ابناء جنسه ، ممن يحمل هذا العلم ([40]) .

من الواضح جدا ان عقيدة المثل والممثول ، فتحت باب التأويل للإسماعيلية ، حتى ان الجهاز الدعوي الذي عملوا عليه كثيرا ، كان متوافقا مع جهاز الفلك ودورته ، اذ قسموا العالم الى اثنى عشر قسما ، وفقا لما قسمت اليه السنة الى اثنى عشر شهرا ، واطلقوا تسميت جزيرة على كل جزء من ذلك العالم ، وعينوا لكل جزيرة من تلك الجزر داعيا ، وكان الداعي مسؤولا عن الدعاية في تلك الجزيرة ، ولقبوه بحجة الجزيرة ، او داعي دعاتها . ثم انهم فرضوا لكل داعي ان يكون له ثلاثون من الدعاة كمساعدين على نشر الدعوة ، لان الشهر ثلاثون يوما ، ثم ان اليوم الواحد اربعة وعشرون ساعة ، اثنتا عشر منها نهارا ، ومثلها ليلا ، فجعلوا لكل داعي من الدعاة ، اربعة وعشرون داعيا ، اثنا عشر منهم ظاهرا كظهور الشمس بالنهار ، واثنا عشر داعيا محجوبا مستترا كاستتار الشمس في الليل ([41]) .

التأويل الكوني للإسماعيلية :

يذهب هالينز هالم ، الى القول بان العقيدة الاسماعيلية الكونية تطورت بشكل واضح ، وأستند في ذلك الى قصيدة قالها احد شعراء اليمن المعاصرين للدعوة الاسماعيلية القديمة ، اذ جعل الشاعر (قدر) و (كوني) الهة هي (والجد) والذي يضم الى (الخيال) و (الاستفتاح) . وقد نقل تعليق الهمداني الزيدي (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) على تلك القصيدة بعد ان نقلها لنا والتي تثير

الاستغراب قائلا : (هناك سبعة آلهة ، كل إله في سماء من السموات ، الاول والاعلى منها الذي يقيم في السماء السابعة العليا ، ويدعى (كوني) ، وقد خلق كوني (قدر) الذي يقيم في السماء الثانية ، وقدر خلق الإلهة التي هي دونه ، اي الجد والاستفتاح والخيال ، والمخلوقات الاخرى ... الا انهم يطلقون الآن على ما اعتادوا تسميته كوني ، اسم (السابق) ويطلقون على (قدر) اسم التالي) ... كما يسمونهما بالأصلين الاولين ، ويقولون انهما العقل والنفس ، وان الجد والفتح والخيال ، قد وجدت عنهما، كما كان الحال سابقا ، بالانبعاث) ([42]) .

من الواضح ان رسالة الهمداني بينت التغيرات اللاحقة التي جرت على العقيدة الاسماعيلية ، فكوني هذا الذي هو الاول في الموجودات ، وما تلاه من قدر الكائن الثاني ، انما صارا فيما بعد بالعقل الفعال ، والنفس الكلية ، واللذان شكلا الاصلين الاولين للمعتقد الكوني عند الاسماعيلية . ثم انهما لم يوجدا الموجودات الثلاثة الاخرى ابتداعا انما انبعاثا بحسب الهمداني .

ولعل التأويل الكوني للإسماعيلية في كثير من تفاصيله غير واضح بشكل كامل ، الا ان ما ورد في بعض رسائلهم يمكننا من ان نعطي صورة عن ذلك التأويل ، فهم في تأويلاتهم يرون ان المبدع او جد (كوني) الذي لم يشاهد غيره من الموجودات ، فشعر انه الوحيد في هذا الكوني ، وربما تسلل الى نفسه انه اله ، فأخرج الله من (كوني) ستة مخلوقات ، فلما رأى ذلك ادرك ان ذلك حدث دون قدرته وارادته ، فأذعن بعد ان عرف ان هناك أله مستور قادر على الابداع والخلق ، فأقر عندها قائلا : لا اله الا الله ، اي انا لست إلها . ثم ان الله أمر كوني بعد الاقرار ، بأن يوجد له مخلوقا ثانيا يكون مساعدا له ، فأبدع (قدر) وهو من المفاهيم المعروفة في العقيدة الاسماعيلية والذي يدل على ما يتمتع به الله من قدرة . وقد استخدم الله هذين المخلوقين في تكوين باقي المخلوقات ((من خلال كوني كوّن الله الاشياء كلها ، ومن خلال قدر قام بتقديرها)) ([43]) .

ان هذه الفلسفة الاعتقادية تبين البدايات الاولى لخلق الكون والمخلوقات، فالإسماعيلية تعتقد بوجود خالق متعالي ، مستتر ، لا يمكن رؤيته او معرفة كنهه ، وقد ابدع مخلوقين اثنين ثم منحهم الارادة والقدرة

على انجاز خلق الاشياء والمخلوقات الاخرى ، وهذا الامر على الرغم من كونه قد لا يتفق مع بعض الاعتقادات الاسلامية ، الا انه لا يخرج عن كونه في دائرة التوحيد ، فلا ينكر الاسماعيلية وجود خالق واحد للكون ، لا يتم الخلق والابداع الا بإرادته وقدرته .

ويذهب الاسماعيلية الى ان هناك حدين علويين (القلم ، واللوح المحفوظ) يقابلهما حدين سفليين جسمانيين (الناطق ، والصامت) فالناطق هو الرسول ، والصامت هو الامام ، فالناطق صاحب الشريعة ، والصامت اساس الشريعة ، فالصاحب ينطق بالظاهر ، والاساس صامت عن الظاهر ، يؤدي الباطن الذي اثبته الصاحب ، كأثبات القلم العلم في اللوح . فالناطق يقابل القلم ، والصامت يقابل اللوح ([44]) .

وترى الاسماعيلية ان القلم اعلى حد من الحدود التي حدها الله لعباده ونهى عن تعديها بقوله تعالى : (وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ)([45]) فالقلم هو حامل للعلم الذي استمده من الله وثبته في اللوح ، ويعتقدون ان الله خلق القلم ثم خلق اللوح المحفوظ ([46]) .

الامام في التأويل الاسماعيلي :

يرى الاسماعيلية ان النبي في عصره يقابل العقل الكلي ، وجميع صفات العقل الكلي تطلق على النبي ، بما فيها الاسماء الحسنى ، وبما ان الامام هو خليفة النبي بعد وفاته ، فان جميع تلك الصفات تطلق على الامام ، فيصبح الامام ازاء العقل الكلي بغياب النبي . فالإمام هو الاصل بالنسبة لعالم الدين ، اذ يقوم مقام الناطق بعد وفاته ، فالإمام يقابل النفس الكلية والانبعاث واللوح ([47]).

اما رتبة الرسالة فهي اعلى من رتبة الامامة عند الاسماعيلية ، فمنزلة الرسول كمنزلة النهار ، لأنه الناطق وصاحب التنزيل الظاهر ، اما رتبة الامامة عندهم فهي بمنزلة الليلة لان الامام صاحب التأويل ، وقد أول الاسماعيلية قول الله تعالى : (فَوَلِّ وجهك شطر المسجد الحرام)() فمعنى وجهك (وصيه) وعنى بالمسجد الحرام دعوته ، والتي تعني الحرم الذي من دخله كان آمنا اذا اطاعه واستقام على ذلك

، والشطر الذي ولاه إياه بتأويل التنزيل والشريعة ، اللذان جاء بهما الرسول ([48]) . وقد اوجب الاسماعيلية ان يكون الصامت قد اطلع على كل الاسرار التي اطلع عليها الناطق ، ليتمكن من مؤازرته ومعاونته ومعاضدته ، ويستطيع ان ينفذ احكامه ويقوم بمهامه ، فالصامت مسؤول عن بيان باطن الشريعة و تأويل ظاهرها ([49]) .

والامامة هي العقيدة المركزية التي بنى الاسماعيلية عليها عقائدهم الاخرى ، فالتأويل وضع اساسا كعقيدة لبيان واثبات احقية الامام في الدين ، والامامة مفتاح لما جاء بعدها من عقائد تقوم بالأساس على دور الامام المركزي في العقيدة الاسماعيلية . فالنبوة في اعتقادهم وقتيه ، لابد ان تزول ، الا ان الامامة باقية ، كون الامام يوجد في كل عصر وهو صنو القرآن ، وهو الشارح والموضح والمفسر للشريعة ، كما هو صاحب التأويل ، وإليه تعود مهمة حفظ الشريعة ودوام استمرارها .

جعل الاسماعيلية الامامة احد اهم دعائم الدين وسموها الولاية ، و تأتي الامامة في ترتيب الافضلية بعد النبوة والوصاية ، اذ عدوا الوصي افضل من الامام ، فالإمام الذي يكون في عهد الناطق يأخذ اسم الوصي ، والوصي المرافق للرسول يكون مفضلا على الإمام ، الذي يأتي بعده ، والحقيقة ان الإمام هو المركز الذي تدور عليه دائرة الفرائض ، واعتقدوا بعقيدة النص ، اي ان الامام منصوص عليه من الله ، وان الامامة مستمرة مدى الدهر ، وانها بدأت بالتسلسل منذ آدم ، وان الارض لا تخلو من إمام ، فإذا خليت الارض من الإمام ساعة مادت بأهلها ([50]) .

ويرى احسان إلهي ظهير، ان الاسماعيلية المتقدمين ، كانوا يرون ان الوصي أفضل من النبي ، وهناك من يقول بالمساواة بينهم ، دون تفضيل واحد على الاخر ، وان العبارات الواردة في رسائلهم المتقدمة تحمل هذه الدلالة . وان الاسماعيلية القائلين (بأن لكل نبي وصي) لا يعدون الوصي اماما ، بل ان الوصي فوق الامام ، فالإمامة شيء والوصي شيئا آخر ([51]). قال الكرماني : (ان الوصي او منصوص عليه من الحدود في الدورة والدعوة الى التوحيد ، فهو من حيث كونه كاملا لا فرق بينه وبين الناطق) ([52]) .

ويذهب الاسماعيلية الى ان الذي اقام الوصي مقام الناطق هو (المبدع الاول) واخبر عنه بأنه كنفس محمد(ص) كما جاء في آية المباهلة ([53]) وانه في الكمال والتمام كهو ([54]).

يرى الاسماعيلية ان مرتبة الباب هي مرتبة من مراتب الامامة بعد الامام ، وهو ولده الذي يأتي بعد ، فاذا مات النبي خلفه الامام في بيان الشريعة للناس ظاهرها وباطنها ، ويكون لكل امام باب له ، يرافقه اربعة عرفوا بالحُرم ، وهم اربعة حدود عالية ، يكونون من كبار الدعاة ، ويسمون بالحجج او بالباب ، لا يعرفون من قبل الاتباع ، وتكون مرتبتهم سرية لا يعرفهم الا الامام وحده وولي عهده . وتكون وظيفتهم النظر في العلوم العرفانية المتعلقة بالعوة ، ويشرفون على التنظيم ، حيث تعود اليهم اختيار الدعاة في الجزائر ، والاشراف على تحركاتهم وشؤونهم ، كما يتابعون شؤون الاتباع وتنظيماتهم . وفي وقت الستر يتسمون بأسماء الائمة حرصا عليهم وعلى تحركاتهم في الجزائر ([55]) .

وقال الاسماعيلية ان محمد وعلي كانا نورا واحدا ، مستندين في ذلك الى قول يروّنه عن النبي انه قال لعلي : لم ازل انا وانت يا علي من نور واحد ننتقل بين الاصلاب الى ان اتصلنا بصلب عبد المطلب ، فانقسمنا في صلب عبد الله وابي طالب ، فقال الله ، يا هذا كن محمدا ، ويا هذا كن عليا ، ثم كنت انا من عبد الله وكنت انت من ابي طالب ، ثم ان النورين اجتمعا معا في فاطمة وعلي ليكونا الحسن والحسين ([56]) .

وفي رواية اخرى ان محمد وعلي كانا نور يسبحان الله حول العرش قبل خلق آدم بالفي عام ، وكانا ينتقلان من الاصلاب الطيبة والارحام المطهرة ، حتى اتصلا بعبد المطلب ، لينقسما الى ثلاثا ، ثلثين في عبد الله ، وثلث في ابي طالب ، ثم ان الاقسام من النور اتصلت فيما بعد في فاطمة وعلي ، ليكون الحسن والحسين فهما نوران من نور رب العالمين ([57]) .

وفي رسائل الحكمة فان لكل ناطق اساس او (وصي) وهو صاحب الشريعة التأويلية (الباطنية) فوظيفة الوصي هي بيان الباطن من الشريعة ، كما كان الناطق مختصا ببيان الظاهر منها ، ثم انهم جعلوا

لكل ناطق من الانبياء وصي له (اساس) فوصي آدم شيث، ووصي نوح سام ، ووصي ابراهيم اسماعيل ، ووصي موسى يوشع ، ووصي عيسى شمعون ، ووصي محمد واساسه علي بن ابي طالب ([58]) .

من المناسب القول ، ان الاسماعيلية عدو الائمة من البشر من حيث الظاهر ، الا انهم في التأويل الباطني اسبغوا عليهم الكثير من صفات القداسة العالية ، فالإمام في عقيدتهم ، يد الله ، ووجه الله ، وجنب الله ، وحجة الله على العباد ، واليه يرجع حساب العباد يوم الحساب الاعظم) ([59]) .

ويعتقد الاسماعيلية ، ان النبوة ممكن ان تنقطع ، ولكن الامامة باقية ، لان الله لا يبعث رسولا الا عند تهاون الخلق بأسباب التكليف ، ورفضهم امور العبادة ، اما الإمام فهو المسؤول عن حفظ الشريعة واسرارها ، فالوصاية مستمرة كونها ترث النبوة ، في كل دور من ادوار الحياة ، الا ان تأذن الحكمة الالهية بتجديد شريعة جديدة ، ولما كانت شريعة محمد خاتمة الشرائع ولا يمكن نسخها ، فأن الإمامة باقية فيها موجودة الى ان تقوم الساعة ([60]) .

وسواء كان صاحب العصر رسولا او اماما سمي ناطقا ، لان الظاهر يكون من اختصاصه ، ويدعى حجته صامتا ، لأنه صامت عن الظاهر ، ويكون اختصاصه الباطن ([61]) . ويرون ان الإمام والحجة يتعاقبان تعاقب الليل والنهار ، ويكون مثل النهار الإمام القائم بالظاهر ، ومثل الليل الحجة الساتر للباطن ، وتأويل ذلك في قوله تعالى : (وجعلنا الليل والنهار آيتين) ([62]) ، وان حد الامام دون حد النبي ، وان كانت طاعتهم واحدة ، وهي كذلك مقرونة بطاعة الله ([63]) .

لقد تطور الاسماعيلية مفهوما للتاريخ الديني معتمدين عهود الانبياء المختلفين اساسا لنظريتهم ، وقد اندمجت هذه الفكرة مع عقيدتهم في الامامة ، التي توارثوها في الاطار التاريخي عن الامامية . لقد قسم الاسماعيلية التاريخ الى سبعة ادوار ، ست ادوار بحسب عهود الانبياء اولي العزم ، آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ، وجعلوا لكل ناطق منهم وصي ، وهو الذي يدعى ايضا بالأساس او الصامت

، والذي يتولى تفسير الحقائق الباطنية التي تختص بذلك الدور من ادوار الانبياء ، ، وقد كانوا بحسب انبياؤهم ، شيث وسام واسماعيل وهارون او يوشع وشمعون الصفا وعلي بن ابي طالب ، وفي كل دور نبوي يرتقي الامام السابع في المرتبة ، ليصبح الناطق لذلك الدور ، فيعلن نسخ شريعة الناطق السابق ويعلن عن شريعة جديدة ، ولن يتغير الا في الدور السابع والاخير من التاريخ ، وان العالم الان يمر في الدور السابع الذي ظهر فيه محمد بن اسماعيل بحسب العقائد الاسماعيلية الاولى ([64]) .

ويرى الاسماعيلية بحسب نظرية الدور التي قسمت الحياة الى ادوار ست بحسب فترات الانبياء ، ان انها تتجدد ، وان هناك تكررا يحدث ، فان ما يحدث في فترة من تلك الفترات يحدث ما يشبهه تماما في الفترات التالية ، مستندين في ذلك على تأويل الحديث النبوي : (لتسلكن سبل من سبقكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)([65]) فقد قالوا : اعتقدوا ان ما حصل في زمن نوح قد حدث نفسه في زمن ابراهيم وباقي الانبياء ، حتى انهم عدو صفات الانبياء واحدة ، حتى انه يصح القول عندهم ان ابراهيم عصره هو نوح عصره وعيسى عصره ... الخ ، وان الاوصياء الصامتين الذين خلفوا الانبياء في مرتبة واحدة ، ولهم الصفات واحدة ، وان امام اي عصر هو وارث الانبياء جميعا وجميع من سبقوه من الائمة ، فيصح القول عندهم ان الامام الاخير هو وارث جميع الانبياء والاوصياء ووارث صفاتهم ، ولذلك كانوا يصفون الامام الاسماعيلي في الدور الفاطمي ، والذي عدوه الدور الاخير ، بصفات ، خليل الله وكليم الله ، وانه المسيح ، الذي يحيي الموتى الى غير ذلك من الصفات ([66]) .

وفي قراءة لقصيدة المؤيد في الدين والتي قالها في حق الامام الفاطمي والتي ظهرت فيها تلك الصفات والنعوت التي وصف فيها الخليفة حتى رفعه الى مرتبة جميع الانبياء ، والتي قال فيها:

سلام على العِتْرَة الطاهرة وأَهْلاً بأَنْوَارها الزَّاهَرة

سلام بَدِيًا على آدم أَبِي الخَلْق بَاديه والحاضرة

سلام عَلى مَنْ بطُوفَانه أدِيَرتْ عَلَى مَنْ بَغَى الدائرة

سلام على من أتاه السلام غداة أحَفَّتْ به النائرة

سلام على قاهر بالعَصَى عُصَاة فَراعِنَةٍ جائرة

سلام على الرُّوح عيسى الذي بمبعثه شَرُفَتْ ناصرة

سلام على المصطفى أحمد وليِّ الشفاعة في الآخرة

سلام على المرتضى حيدرٍ وأبنائه الأنجم الزاهرة

سلام عليك فمحصولهم لديك أيا صاحب القاهرة

بنفسي مستنصراً بالإله جنود السماء له ناصرة

شهدت بأنك وجهُ الإله وجوه الموالي به ناضرة ([67]) .

لقد أول الاسماعيلية ما ورد من آيات قرآنية فيما يخص قصص الانبياء وفقا لما يتوافق مع هدفهم في اسباغ فضائل خاصة على الائمة حتى ان في بعض كتبهم السرية يصفون الامام انه من الانبياء اولي العزم ([68]) .

ومن الامثلة على تأويلاتهم للنصوص القرآنية نجدهم لا يلتزمون قرينة معينة ، او معيارا عقليا يركنون اليه ، انما يؤولون النص ويصرفونه حيث يعتقدون ، واغلب تأويلاتهم تذهب باتجاه الامامة . ففي تأويل قوله تعالى (والتين والزيتون) قالوا الحسن والحسين ، (وطور سينين) محمد (ص) سيد المرسلين ، (وهذا البلد الامين) يعني امير المؤمنين عليا ، (ولقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) يعني الاول لأنه

كان احسن معرفة من الثاني ، (ثم رددناه أسفل سافلين ، الا الذين أمنوا وعملوا الصالحات) بعمل اهل الطاعة للإمام الذين أطاعوه ([69]) .

وفي تأويل قوله تعالى : (وأوحى ربك الى النحل ان أتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر) فالنحل هم الائمة المملون علم الله ، لانهم مستودعون هدى الله ونوره ، والجبال الدعاة الذين هم مقام الحجج (ومن الشجر) ويعني مما يتوالدون ([70]) .

وهكذا نجد ان التأويلات الباطنية للإسماعيلية تحاول ان تجعل الامام في مركز الصدارة

الهوامش :

[1] النوبختي ، فرق الشيعة ، ص 78 .

[2] المفيد ، الفصول المختارة ، ص305 ؛ المجلسي ، بحار الانوار، ج37، ص10 .

[3] ابن منظور ، لسان العرب ، ج11 ، ص32 .

[4] المصدر نفسه ، ج11 ، ص33 .

[5] المصدر نفسه ، ج11 ، ص33 .

[6] النهاية في غريب الحديث ، ج1 ، ص81 .

[7] الصحاح ، ج4 ، ص1627 .

[8] الزركشي ، البرهان ، ج2 ، ص149 .

[9] السيوطي ، الاتقان في علوم القرآن ، ج2 ، ص461 .

[10] الزركشي ، البرهان ، ج2 ، ص150 .

[11] الجابري ، بنية العقل العربي ، ص274 .

[12] المصدر نفسه ، ص274 .

[13] المصدر نفسه ، ص271 .

[14] حمدينة ، آلية المماثلة في التأويل الاسماعيلي ، ص20 .

[15] تامر ، مقدمة كتاب اساس التأويل ، ص6 .

[16] غالب ، الحركات الباطنية ، ص97 .

[17] المجالس والمسايرات ، ص86 .

[18] القاضي النعمان ، دعائم الاسلام ، ج1 ، ص53 .

[19] حسين ، طائفة الاسماعيلية ، ص147 .

[20] غالب ، الحركات الباطنية ، ص93 .

[21] ال عمران / 33 ، 34 .

[22] الشورى / 51 .

[23] الزخرف / 32 .

[24] الجعفي ،الهفت الشريف في فضائل مولانا جعفر الصادق ع ، ص40-42 .

[25] مجلة العقيدة ، ص 85 – 120 .

[26] حسين ، طائفة الاسماعيلية ، ص164 .

[27] اساس التأويل ، ص25 – 26 .

[28] تأويل الدعائم ، ص60

[29] الرعد / 43 .

[30] تأويل الدعائم ، ص61 .

[31] يوسف / 6 .

[32] يوسف / 21 .

[33] الكهف / 78 .

[34] ال عمران / 7

[35] فصلت / 53 .

[36] الصافات / 20-21 .

[37] غالب ، الحركات الباطنية ، ص104 .

[38] المصدر نفسه ، ص118 .

[39] غالب ، مفاتيح المعرفة ، ص160 .

[40] الديلمي ، قواعد عقائد ال محمد الباطنية ، ص52 . وذكر القاضي النعمان رواية عن الامام الصادق ، عن بعض المتصلين فيه ، اذ قالوا له انما سمعنا منك قبل هذا الوقت خلاف هذا الوجه ؟ فقال : نعم ... وسبعين ، ولو استزدنا لزدناه ، فوجوه هذا العلم بمقدار حدوده ، فيعلم ذلك من سمعه وانتفع به ، وترقى في درجاته . اساس التأويل ، ص27 .

[41] غالب ، الحركات الباطنية ، ص119 .

[42] كوزمولوجية الاسماعيلين من العهد ما قبل الفاطمي ، ص85 .

[43] المصدر نفسه ، ص87 – 88 .

[44] القاضي النعمان ، اساس التأويل ، ص40 .

[45] الطلاق / 1

[46] المصدر نفسه ، ص39 .

[47] غالب ، مفاتيح المعرفة ، ص159 .

[48] شتروطمان ، اربعة كتب اسماعيلية ، ص35-36 .

[49] تامر ، خمس رسائل اسماعيلية ، الرسالة الثالثة ، ص122 .

[50] تامر ، تاريخ الاسماعيلية (الدعوة والعقيدة) ، ص75 .

[51] الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، ص349 .

[52] راحة العقل ، ص216 .

[53] (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(ال عمران / 61) .

[54] الكرماني ، راحة العقل ، ص213 .

[55] غالب ، مفاتيح المعرفة ، 168 -173 .

[56] ابن الوليد ، تحفة المرتاد وغصة الاضداد ، ص168 .

[57] ابن الوليد ، تاج العقائد ومعدن الفوائد ، ص54 .

[58] ابن علي ، رسائل الحكمة ، ص16-17 .

[59] غالب ، مفاتيح المعرفة ، ص151 .

[60] ابن الوليد ، تاج العقائد ومعدن الفوائد ، ص68-69 .

[61] القاضي النعمان ، اساس التأويل ، ص51 .

[62] الاسراء / 12 .

[63] القاضي النعمان ، اساس التأويل ، ص51-52 .

[64] دفتري ، الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، ص231 -232 .

[65] الصدوق ، من لا يحضره الفقيه ، ج1 ، ص203؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ج7 ، ص260 ؛ الحاكم ، المستدرك ، ج1، ص129

[66] حسين ، طائفة الاسماعيلية ، ص168 .

[67] المؤيد في الدين ، ديوان المؤيد في الدين ، ص286 ؛

[68] حسين ، طائفة الاسماعيلية ، ص170 .

[69] ابن منصور اليمن ، الكشف ، ص41 .

[70] المصدر نفسه ، ص42 .

قائمة المصادر والمراجع :

ـ ابن الاثير ، مجد الدين ابي السعادات الجزري،

1. النهاية في غريب الحديث والاثر ، مؤسسة اسماعيليان (قم ، 1364) .

ـ ظهير ، احسان الهي ،

2. الاسماعيلية تاريخ وعقائد ، ادارة ترجمان السنة (باكستان 1405هـ/ 1985)

ـ تامر ، عارف ،

3. خمس رسائل اسماعيلية ، دار الانصاف (سوريا ، 1375هـ/ 1956)
4. تاريخ الاسماعيلية (الدعوة والعقيدة) ، مطبعة رياض الريس (لندن ، 1991)
5. مقدمة كتاب اساس التأويل ، منشورات دار الثقافة ، (بيروت ، 1960)

ـ الجوهري ، اسماعيل بن حماد

6. الصحاح ، دار العلم للملاين (بيروت ، 1407هـ / 1987م)

ـ الجابري ، محمد عابد

7. بنية العقل العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت ، 2009) ط9 .

ـ الحاكم ، ابو عبد الله النيسابوري

8. المستدرك على الصحيحين ، دار المعرفة (بيروت ، 1404 هـ)

ـ حسين ، محمد كامل

9. طائفة الاسماعيلية (تاريخهم ، نظمهم ، عقائدهم) مكتبة النهضة المصرية (مصر ، 1959م)

الجعفي ، المفضل بن عمرو

10. الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق ، دار الاندلس (بيروت ، 1420هـ/ 2000م

ـ دفتري ، فرهاد

11. الاسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، دار الساقي (بيروت ، 2012) .

ـ الديلمي ، محمد عبد الحسن

12. قواعد عقائد آل محمد الباطنية ، مؤسسة نشر الثقافة الاسلامية (بيروت ، 1369هـ/ 1950م)

ـ الزركشي ، ابو عبد الله بدر الدين

13. البرهان في علوم القران ، دار احياء الكتب العربية (بيروت ، 1957م)

ـ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر

14. الاتقان في علوم القران ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (مصر ، 1974م)

ـ شتروطمان

15. اربعة كتب اسماعيلية ، التكوين للطباعة والنشر(دمشق، 2006م)

ـ الصدوق ، ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه

16. من لا يحضره الفقيه ، منشورات جماعة المدرسين (قم ، 1404هـ)

ـ عبد الله ، حمدينة

17. آلية المماثلة في التأويل الاسماعيلي ، مجلة الحوار الثقافي، م10 العدد 2 لسنة 2021 .

ـ عبد السادة ، رسول كاظم ،

18. الهفت الشريف كتاب منحول على الامام الصادق ع ، مجلة العقيدة ، العدد 14 شهر ربيع الاول عام 1439هـ .

ـ ابن علي ، حمزة ، وآخرون

19. رسائل الحكمة ، دار لأجل المعرفة (بيروت ، 1986)

ـ غالب ، مصطفى

20. الحركات الباطنية في الاسلام ، دار الاندلس (بيروت ، 1404هـ)

21. مفاتيح المعرفة ، مؤسسة عز الدين (بيروت ، 1982م)

22.

ـ القاضي النعمان ، ابو حنيفة بن محمد بن منصور

23. دعائم الاسلام ، دار المعارف (القاهرة ، 1963م)

24. اساس التأويل ، منشورات دار الثقافة (بيروت ، 1960م)

25. تأويل الدعائم ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت 2006م)

26. المجالس والمسايرات ، الجامعة التونسية كلية الاداب للعلوم الانسانية (تونس ، 1978م)

ـ الكرماني ، احمد حميد الدين ،

27. راحة العقل ، دار الاندلس (بيروت 1983 م)

ـ المجلسي ، محمد باقر

28. بحار الانوار ، مؤسسة الوفاء (بيروت ، 1403هـ/ 1983م)

ـ المفيد ، ابو عبد الله محمد بن محمد العكبري

29. الفصول المختارة ، دار المفيد (بيروت ، 1414هـ/ 1993م)

ـ المؤيد في الدين ،

30. ديوان المؤيد في الدين ، دار الكتاب المصري (القاهرة ، 1949م)

ـ ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين

31. لسان العرب ، نشر أدب الحوزة (قم ، 1405هـ)

ـ ابن منصور اليمن ، جعفر

32. كتاب الكشف (تأويل إسماعيلي لآيات القرآن) دار بيليون (باريس، 2008م)

ـ النوبختي ، الحسن بن موسى

33. فرق الشيعة ، منشورات الرضا (بيروت ، 1433هـ/ 2012م)

ـ هالم ، هالينز

34. كوزمولوجية الاسماعيليين من العهد ما قبل الفاطمي (ضمن كتاب الاسماعيليون في العصر الوسيط) دار المدى (سوريا ، 1999م)

ـ الهيثمي ، نور الدين علي بن ابي بكر

35. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، دار الكتب العلمية (بيروت، 1418هـ/ 1988م) .

ـ ابن الوليد ، علي بن محمد

36. تحف المرتاد وغصة الاضداد (ضمن كتاب اربعة كتب اسماعيلية لشتروطمان) المجمع العلمي (غوتينغن ، 1943م)

37. تاج العقائد ومعدن الفوائد ، مؤسسة عز الدين (بيروت ، 1403هـ/ 1982م)